مجلة أنثروبولوجيا P-ISSN: 2437-041X
مجلد: 06 عدد: 01 السنة 2020 E-ISSN:2588-2325

الممارسات السحرية والعلاجية بالمغرب

Magical and therapeutic practices in Morocco

حم شرقاوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة، المغرب، hamma.rabat@gmail.com*

تاريخ الإرسال: 2020/04/29 تاريخ القبول: 2020/06/25 تاريخ النشر: 2020/06/27

ملخص

شكل السحر واحدا من القضايا التي استحوذت علي تفكير الإنسان مند القدم، وهو واحدا من المجالات الواسعة والخصبة التي يمكن تناولها من زوايا متعددة، وذلك أنه وعلي الرغم من التقدم العلمي الذي أحرزه الإنسان في مجالات الحياة، فانه لم يتخلص من المعتقدات والممارسات العلاجية الروحية ذات الصلة بالسحر والتي لم يتمكن التقدم العلمي والتقني الذي حققه الإنسان من تجاوزها، فالاعتماد علي السحر مازال قائما بكل ألوانه وصوره ومازال له حضوره الواسع في تفكير ومعتقدات الإنسان حتى اليوم، باعتباره وسيلة عملية لها قدرها في تحقيق نجاح أي عمل يعجز عن تحقيقه ذلك الإنسان بالوسائل العملية المنطقية .

الكلمات المفتاحية: السحر، العلاج الشعبي، الممارسة السحرية، العملية السحرية، الطقوس

Abstract

Witchcraft, believing in superstations power and continuing experimenting with ceremonial magic are supposed to represent the old era that has been stated in many books and incidents in the history. Which affected human thinking and make human mind deeply believes in the power of witchcraft.

However, under the study that we have now, many people may think that the ceremonial magic no more exist in our screen

* المؤلف المرسل

ager society because of the progress and the development of technology and the change of our daily life style. Indeed, the majority of people nowadays have a certain point of view, which represent the continuity of homogeneous incidents, and series of ceremonial magic appears to be exist in many areas.

For this reason, to avoid any ambiguity in that regard. Magic should be discussed from multiple angles. This study will shed the light on the disturbing situation that has been clearly revealed in our community. Despite the scientific progress that humans have made in the fields of life, he has not rid himself of beliefs the therapeutic practices of magic that the scientific and technical progress of man has not been able to overcoe. Reliance on ceremonial magic is still in all its colors. It continues to have his broad presence in the thinking and beliefs of man, as a practical means of his value in achieving the success of any action that he cannot achieve by a Logical process.

Keywords: Witchcraft, magic, popular treatment, magical practices. Rituals.

تقديم

يعد السحر من الموضوعات الأكثر إثارة لدى عدد كثير من أفراد المجتمع المغربي، نضرا للصمت شبه المطلق الذي يلف ظاهرة السحر، والخفي (الغيبيات) عموما في المغرب كما في باقي الأقطار العربية، وعلى مستوى البحث والتحليل، كما على مستوى الترجمة، هو صمت يأتي في نهاية المطاف نتيجة الرقابيتين الدينية والحداثية المفروضتين على الظاهرة، فالحداثة تختزلها في الخرافات والأوهام، والدين يختزلها في ردة وكفر.

والسحر من أقدم المعتقدات التي عرفتها البشرية، منذ ليل التاريخ، وليس معروفا عن شعبا من شعوب الأرض أنه كان يجهله، في الماضي كما في الحاضر، ودلك ما دفع علم الاجتماع وعلماء الأنثروبولوجيا إلى الخروج باستنتاج مفاده أن السحر هو نتاج حاجات طبيعية مشتركة،

كامنة في أعماق النفس البشرية المعقدة[1]. مثل غيرهم من أمم وشعوب الأرض، عرف المغاربة منذ العصور الغابرة معتقدات تعبدية وسحرية، مازالت بقاياها صامدة ومتداولة بيننا، حتى الان. فقد عبد الأمازيغ، وهم المغاربة الأقدمون، عيون الماء، والأشجار والكبش، ملك القطيع والكواكب وجن المغارات، والعيون والهواء، واعتقدوا في السحر، إي في إمكانية خلق شيء أو حيوان أو بشر، إما برسمه أو بكل بساطة من خلال النطق باسمه، واعتقدوا أنهم بذلك يستطيعون التحكم فيه والإمساك وتدميره أو معاقبته. ومارسوا أيضا عبادة الموتى، وكانوا يوجهون قبورهم جهة مشرق الشمس ويدفنون مع موتاهم المجوهرات والجرار والقصاع الطينية لاعتقادهم في خلود الروح[2].

"وإذا ما نحن نقبنا في الفرشات الأعمق للمجتمع المغاربي سواء بالجزائر أو المغرب، فإننا سنستنبط مؤسسات عتيقة استعملها الإسلام، والتنظيم القبلي، والثأر الفردي، والشعائر الزراعية الخ[3] ونسمي ساحرا كما هو الأمر بالإغريقية، بالاسم الذي يعني كهنة ديانة زاردشت (بالفارسية: ماجو). وقد حافظت هذه الكلمة بالعربية على معناها الحقيقي بحيث إن النبي محمد يضع المجوس بجانب اليهود والنصارى والصائبة، معارضا بينهم وبين المشركين. وقد نعت النبي محمد باستمرار من قبل أعدائه تارة بالساحر وتارة بالمسحور[4]، وكما اشتهر المغرب بوجود السحرة والساحرات منذ القدم، حيث أنه لا يمكن الصمت عن خالة وأخت حميم المتنبئ في قبيلة غمارة. وقد كانت الأولى، وتسمى تنغيت، عرافة وساحرة، وكانت الثانية، وتسمى داجو أو دبو، ساحرة وعرافة وإحدى أجمل نساء وقتها. فقد كان يلجأ إليها في وقت الحروب وفي كل الظروف العصيبة، بل إن ابن خلدون يقول بإن النساء الشابات ظللن يتداولن السحر منذ

1 مصطفى وأعراب المعتقدات والطقوس السحرية في المغرب، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، يناير 2007.

2 المرجع نفسه، ص 7-8.

3 دوطي إدمون . السحر والدين في إفريقيا الشمالية، ترجمة: فريد الزاهي، منشورات مرسم marsam، الرباط المغرب، ص ص 21-22.

4 المرجع نفسه، ص 27.

حميم[1]. ولا تزال ذكرى أخت حميم باقية إلى وقتنا الراهن بالمغرب، لدى بنى حسن حيث تسمى دبو وحيث يشار إلى قبرها، فمن العادة أن تقوم الفتيات المغربيات اللواتي يكرسن نفسهن للسحر، ويأتين لزيارتها بإلقاء حجر على قبرها عند المرور بالقرب منه[2]. ويشير" ابن خلدون" إلى أنه بالمغرب هناك صنف من المنتحلين للأعمال السحرية يعرفون بالبعاجين الذين يشيرون إلى الكساء أو الجلد فيتخرق ويشيرون إلى بطون الغنم بالبعج فتنبعج، ويسمى احدهم لهذا العدد باسم البعاج لان أكثر ما ينتحل من السحر بعج الانعام ليرهب بذلك أهلها ليعطوه من فضلها وهم متسترون بذلك في الغابة خوفا على أنفسهم من الحكام، وأنا لهم وجهة رياضية خاصة بدعوات كفرية وإشراك لروحانية الجن والكواكب سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى الخنزيرية يتدارسونها وان بهذه الرياضة والوجهة يصلون إلى حصول هذه الأفعال وان التأثير الذي لهم إنما هو فيما سوى الإنسان الحر من الأمتعة والحيوان والرقيق ويعبرون عن دلك بما يمشي فيه الدرهم أي ما يملك ويباع ويشترى من سائر المتملكات هذا ما زعموه [3].

ويعرف مغرب الحاضر، الذي لا يزال للمعتقدات السحرية القديمة فيه حضور قوي، لعل من أبرز تجلياته ما نراه من رسم لأصابع اليد الخمسة على مؤخرة شاحنة، أو كتابة " عين الحسود فيها عود " أو تعليق حدوة حصان على بعض الأبواب الدور، بالإضافة إلى الإقبال الذي لا يزال كثيرا على زيارة اضرحة الاولياء ودكاكين السحرة وأسواقهم في مدن مغرب الكبيرة، كما في قراه الثانية "[4]. وإن الساحر لا يولد ساحرا، ولكي يصبح الإنسان العادي ساحرا. (أو ساحرة)، يكون أمامه مسار شاق عليه ان يقطعه في أماكن سرية، قبل أن يحضى باعتراف معلميه السحرة وتتويجهم له ساحرا معالجا. ويتداول في أوساط المتخصصين أن تلك الأماكن توجد بمنطقة سوس في الجنوب المغربي، وان المتخرج من مدارس السحر تلك يتوفر على مهارات في

1 المرجع نفسه، ص 29.

2 المرجع نفسه، ص 29.

3 المرجع نفسه، ص131

4 وأعراب مصطفى. مرجع سابق، ص 9.

مجالات تخصصه، تجعله يتفوق على كل زملائه الاخرين. ويبرر ذلك طبعا، المقابل الباهض الذي يطلبه " الفقيه السوسي"، مقابل خدماته[1].

ويقدم د." مصطفى أخميس" تصورا واضح المعالم حول مسار التكوين الشاق الذي يجتازه الساحر المتعلم في مدارس تعلم السحر السرية في سوس على النحو التالي: ينسحب الفقيه الراغب في أن يصبح معالجا (بتعبير أخميس :Guérisseur) من الحياة العادية لينغمس في حياة أخرى مسكونة بالأرواح وهناك يختار "الخديم"(الخادم) الدي لا يفارقه بعد ذلك ابدا. ولكي يرتبط بالجنى لا ينبغي على الفقيه أن يرى أحدا طيلة مئة يوم ويوم، ولا أن يحلق وجهه أو يغتسل، ولا يأكل طيلة تلك المدة سوى التمر والحليب والخبز الشعير المعجون بدون خميرة، وعليه ان يحرق عند كل مطلع ومغرب الشمس خليطا من الملح والحرمل والشب وجلد الثعبان. وفي متم اليوم الواحد بعد المئة، ينظر الفقيه في معزله إلى مرآة على ضوء شمعة، فيرى بذل انعكاس صورة وجهه فيها صورة الجني " الخديم". ويكون ذلك تتويجا له كفقيه معالج، وإيذانا له بالبدء في تدريب ميداني يتمرس خلاله على العيش مع شيطانه، الذي لن يتكلم معه إلا لغة خاصة تتضمن صيغا لغزية، ويختتم الساحر تدريبه بدراسة العلامات التي سيستعملها في إعداد الطلاسم، خلال حياته المهنية المستقبلية[2].

وإن هذا المسار التكويني الغرائبي، الذي مازال يمارس حتى اللحظة الراهنة في بعض المدارس السرية بسوس، يشبه في بعض تفاصيله طريقة أخرى لتسخير الجن في خدمة الساحر، رواها أحد السحرة المغاربة للطبيب الفرنسي موشون قرن من الزمان، وضمنها هذا الأخير في ملاحظاته حول السحر في المغرب بدايات القرن العشرين. ولكي يصبح المرء ساحرا (او طالبا/ بتعبير موشون)، يطلب من الشياطين أن يبلغوا رغبته إلى السلطان الأكبر (للجن)، ثم ينسحب إلى أحد الأودية بعيدا عن المدينة، حاملا معه مرآة إطارها من خشب الأبنوس. و يأخذ طالب السحر تلك المرآة في يده اليمنى بينما يتمتم بأدعية والبخور يتصاعد من موقد مجاور، ويقوم بتغيير ملابسه على رأس كل ساعة زمن، مكتفيا بأكل الخبز الذي تم إعداده من دون ملح وتقليل

1 المرجع نفسه، ص29.

2 المرجع نفسه، ص 29-30

من الخميرة، مع التين المجفف والزبيب[1]. وأما إذا كانت " المرأة" هي التي تريد أن تصبح ساحرة، فإن عليها أن تعهر وتمارس أقدر الطقوس، إلى أن يقتنع " خديم" من الجان بالارتباط بها وعدم مفارقتها طيلة حياتها. وتبدأ المرأة بعرض نفسها على أي كان، خلال فترة الحيض (إنسان غير مسلم أو حتى حيوان)، وتستحم كل صباح ببولها لتصبح غير طاهرة مطلقا، ثم توقد للشيطان الذي سيصبح عشيقها وخديمها الأبخرة، إلى أن يظهر لها فتمنحه نفسها ليفعل بها ما يشاء، كما ستفعل به هي ما تشاء. ولن ترى تلك الساحرة الجنة أبدا، بل ستظل مع الشياطين بعد وفاتها. لماذا يعتبر التعهر وفقدان العفة والظهارة شروطا لازمة، في معتقد المغاربة من أجل قبول المرأة في نادي السحرة المغلق، بينما الرجل يكفيه الإلتماس إلى سلطان الجان ومرآة الأبنوس والنظافة وتغيير الملابس كل ساعة، والأكل الخفيف؟ يبدو أن السر كامن في النظرة الدونية للمرأة في مجتمعنا بشكل عام، وللنظرة الدونية للمرأة التي تتعاطى السحر.

إن السحر في المغرب ينسب إلى الأقليات الدينية (اليهود على الخصوص) والعرقية (الزنوج أو أهل سوس) أو أصحاب المهن الوضيعة التي تصنف المومس ضمنها، فالساحرة هي بالضرورة مومس، والمومس تتعاطى السحر، ومن هنا يصير على كل امرأة تنوي أن تصبح ساحرة، وفق المنطق نفسه، أن تبدأ بفقدان عفتها وطهارتها الجسدية والمعنوية، حتى تمتلك بإغراء قدراتها الشيطانية شيطان مثلها، فيرتبط بها، بينما الرجل الذي يصبح ساحرا يضع " خديمه" بكل اطمئنان في علبة، دون أن يفقد من كرامته شيئا[2]. وهنا يتبادر إلى أدهان الكثيرين، سبب أهمية توفر هكذا شروط تبدو تتعارض مع كل المعتقدات الدينية، كون السحر هو منبوذ ومحرم في الديني الإسلامي والمسيحي واليهودي. وهذا الإقبال الذي يجعل المرأة في تعاطي السحر هو في حد ذاته يرجع إلى العديد من التمثلات الاجتماعية الدونية التي تنقص من قيمة المرأة بالمجتمع، خطاب يتكأ على بعض الاجتهادات الدينية في قالب معين من الخطاب الشعبي بدافع التشفي أو الإقصاء أو التهميش (ضلع أعوج وناقصة دين..) يجد الدليل لدلك في قوة الفعل المجتمعي الذي يبصم على إعطاء نوع من المشروعية لهذا الإجماع على أن هناك نظرة دونية للمرأة التي تتعاطى السحر والشعوذة.

1 المرجع نفسه، ص ص 30-31.

2 المرجع نفسه، ص 32.

أولا- بعض أنواع السحر في المغرب:

وكون الممارسات السحرية جزء من الاعتقاد الديني للمغاربة، دأب عدد من الباحثين الأنثروبولوجيين وبالأخص منهم " جيمس فرايزر وآخرون غيره على الفصل التام بين السحر والدين، عذا الفصل الذي لا ينسجم دائما مع واقع المجتمعات المدروسة. وقد كشف " فستر مارك" وهو الباحث الميداني بامتياز، عن قصور هذا الفصل وتعسفه، فهو إذا كان يتفق مبدئيا مع فرايزر في تمييزه العام بين السحر والدين، إذ يرى أنه أوضح بالفعل بشكل جيد الفرق الموجود بينهما، باعتبار أن الممارسة الدينية هي بالأساس عبادة الكائنات الروحية والموقف الديني في طبيعته محترم ومتواضع.

بينما الممارسات السحرية هي إكراه وإجبار والموقف السحري مستبد ويسعى دوما إلى تأكيد الذات Self assertive، إلا أنه يأخذ على فرايزر إهماله وإغفاله علاقة السحري بالديني وما لديهما من مشترك. " فالناس حسب" فستر مارك" لا يستعملون السحر فقط في علاقتهم مع بعضهم البعض، وإنما أيضا في علاقاتهم مع آلهتهم، إذ أن السحري والديني عنصران مندمجان كليا داخل عملية العبادة –Cult." والكلمات العربية للقران، حسب الديانة المحمدية، تحدث المعجزات، كما يعتبر القربان المقدس داخل عملية التعميد المسيحية دواء للخلود Médecine of immortality.[1]. ويقسم "موشون" السحر في المغرب حسب ملاحظاته إلى قسمين: سحر دفاعي، وسحر عدواني، ويرتبط كل قسم منهما بطبيعة الأغراض المرجوة، وبموقع كوكب القمر الذي يلعب دورا حاسما في إنجاح أو إفشال العملية السحرية[2]. و"السحر الدفاعي " لا ينجح إلا خلال النصف الأول من الشهر القمري، ويلجأ إليه كل المصابين بالعين الشريرة والملاحقين بلعنة سوء الحظ كالنساء اللواتي (يجهضن بدون رغبة، والفتيات اللاتي لم يتمكن من الزواج، والعشاق المخدوعين، والرجال الذين لا تنجح أعمالهم). و" السحر العدواني"، فيختص بأغراض

1 عبد الغني منديب، الدين والمجتمع: دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، الطبعة الثانية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010، ص19.

2 مصطفى وأعراب. مرجع سابق، ص 14

الحب والطلاق والمصائب والموت التي لا تنجح إلا خلال النصف الثاني من الشهر القمري لأنه – يقول موشون-في أعمال السحر التي تستهدف الانتقام والحقد يقال:

" كيف ما غاب القمر-يغيب فلان يغيب" أي مثلما غاب القمر أريد لفلان أن يغيب. ويظهر أن الأول هو سحر الخاصة الذي يتطلب من ممارسيه أن يتوفروا على معرفة خاصة بعلوم وتقنيات السحر المعقدة، وهو يدور في إطار حلقة ضيقة من السحرة المحترفين، أما النوع الثاني، فهو سحر العامة المتداول على نطاق واسع لبساطة وصفاته وسهولة تنفيذها، فتستطيع النساء في بيوتهن ممارسته دون اللجوء إلى الفقهاء[1].

وعرف السحر تصنيفات عديدة من منظورات مختلفة، وهكذا فقد تم التمييز من حيث استخدامه – أو عدم استخدامه – للطقوس، بين سحر مباشر، شعائري يؤثر في الأرواح، (فضلا عن الإنسان) بواسطة الطقوس، وسحر غير مباشر، او طبيعي، يؤثر في الطبيعة عبر تقنية من نوع خاص غالبا ما يرتكز على قانوني تشابه (السحر المحاكاتي) والاتصال (السحر المعدي). ومن جانب تمحوره على الذات أو الغير، تم التمييز بين: -سحر وقائي (بالخصوص على السحور والطلاسم)، وسحر فاعل (عبر شعيرة مقولية). ومن زاوية غاياته، تم تصنيفه إلى: سحر ابيض (أو سحر اليد اليمنى) يتدخل في المجلات الخيرة، وسحر أسود (أو سحر اليد اليسرى)، يتدخل في المجالات الشريرة[2].

السحر الشعبي في المغرب:

نميز داخل السحر الممارس في المجتمعات الإسلامية، حسب جنس الساحر والمسارة التي يتجاوزها وأنواع التدخلات التي ينجزها، بين نوعين: أحدهما عالم تخضع فيه عملية التعلم لإرادة الشخص الذي يرشح نفسه للحصول على هذا الوضع الاعتباري، وتتم المسارة إما تحت اشراف شيخ (أستاذ) أو عن طريق التعلم الذاتي، بالاطلاع على المصنفات السحرية وتطبيق ما

1 المرجع نفسه، ص ص 14-15.

2محمد أسليم. الإسلام والسحر، منشورات الزمن – كتاب الجيب 16-مطبعة الدار البيضاء، يوليوز 2000، ص 97-98.

تتضمنه من وصفات، وهذا النوع من السحر حكر على الذكور، ويشغل في تدخلاته. والنوع الثاني شعبي يمارسه الرجال والنساء على السواء. ويختلف عن سابقه أساسا في عدم استخدام الكتب، وفي كون المسارة تأخذ غالبا شكل تفاوض مع الأرواح على إثر مرض ابتدائي هو في الحقيقة انتقاء. من عالم الما وراء، للشخص الدي سيصير ساحرا[1].

وإن ظاهرة السحر ببساطة التعريف هي محاولة السيطرة على الآخر من خلال السعي الخفي للتحكم في مخيلته وتوجهه حسب القصد، قريبا جدا من مسألة التنويم المغناطيسي المعروف طبيا، ولكن من أجل غاية خبيثة واستدراج ماكر. وهذا ربما يتم إما بأعمال ظاهرية وخفة يدوية واستعمال مواد زئبقية وبلورية قد تضعف كمال الرؤية وتوقعها في مخلط التشكيل الوهمي بحسب مقصد السحر ونيته في هذا الإجراء، وإما أن يكون بعمل غيبي في دائرة الكونية الخفية، قد توظف فيه أرواح غير مرئية ذات خاصية سلبية وشريرة قد عبر عنها الإسلام بالجن والشياطين والعفاريت، وربما تكون فيروسات، على سبيل الإيحاء والوسوسة الأرضيين[2]. ويمثل السحر إرهابا روحانيا ونفسيا بسبب تسليط الشياطين على مخيلة المسحور والإضرار به عصيبا والتضييق على منافسة النفسية، لغاية أن يصبح مكبلا أو كأنه مقبورا وهو فوق الأرض، فتتعطل مصالحه وتطلعاته ويصبح في دوامة المقارعة ومطاردة المجهول وتوقع الأسوأ في كل لحظة[3].

ولقد اتخذ بعض الدجالين علم التنويم المغناطيسي ستارا يخفون خلفه مآربهم الخبيثة في ابتزاز أموال البسطاء من الناس، فادعوا أنهم وهبوا قوة مغناطسية عظيمة يمكنهم أن يؤثروا بها في وسطاتهم حتى ينومونهم"[4]. وكون "الإنسان كما يتصوره فرويد كائن أو حيوان فسيولوجي

1 المرجع نفسه، ص 95-96.

2 محمد بن يعيش. قضايا معاصرة محرجة !!! من منظور عربي إسلامي، الطبعة الأولى، مطبعة الجسور وجدة، 2015، ص 109-110.

3 المرجع نفسه، ص 114.

4 عبد الفتاح الطوخي. سحر هاروت وماروت في الألعاب السحرية، مطبعة بيروت، لبنان، الطبعة الثانية للجزء الثاني، بدون سنة، ص 35.

ذو مظاهر نفسية، وهو ذو طبيعة ثابتة وأن تغيرت فإنها يحدث التغير في مظاهرها فقط لا في عمقها ومكوناتها الأساسية"[1]، لأن كل سلوك بشري يحمل معنى يتعين اكتشافه حتى ولو كان بتعبير فرويد-حركة أصبع[2]. ويحيل الرمز، في معظم الحالات، على ماض عاشه صاحبه وخلف له عقدا وحُصارات ومُركّبات تسعى إلى الظهور وتبرز كلما أتيحت لها الفرصة[3]، وقد بين إليتش (Ivan illitich) من خلال تناوله لفصاحة "الصمت" أن الصمت مكون من مكونات اللغة، فهو رفض الحوار عند تواصل لا متكافئ، وعبارة عن عنف تمارسه الضحية أمام جلادها، ولكنه أيضا علامات ترقيم (وقفات من الوقف) تتخلل إرسال البلاغ، فما قيمة نص مكتوب دون علامات ترقيم وقف)؟ كذلك. هو حال البلاغ المرسل[4] وتستمد الكلمات قيمتها السحرية الكاملة من القيمة العجيبة التي تمنح للنفس. فالنفس هو المبدأ الحيوي الذي حين يكون مشخصا يطابق النفس. والنفس كلمة تعني في العربية الدارجة النفس والنفس. فالكلمة هي نفس في صورة أكثر حسية، وأكثر دقة، وهي أكثر تحققا لأنها تثير في الذهن صورة محددة. ومن ثم تنبع قوتها السحرية، فهي تجرح كالسلاح. وقد احتفظ الإسلام بهذا التصور، حيث تعتبر اللعنة شيئا ماديا. فاللعنة سلاح المؤمنين، وهي تقارن بسهم أو قذيفة. إن القوة السحرية للكلمة هي معتقد عام، فقد عرفها الإنسان في عصور ما قبل التاريخ ومن دون شك لا حاجة لنا أن نبحث في موضع آخر عن القرابة بين كلمتي numen (القوة الألوهية) و(الاسم) nomen[5] . والطبيعي أن

1 محمد سبيلا، " مفهوم الإنسان عند فرويد"، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس بالرباط، العدد: 24، السنة يناير/ أبريل 1975، ص 166-169.

2 محمد، سبيلا، مرجع السابق، ص 171.

3 حسين الواد. مناهج الدراسات الأدبية، منشورات عيون المقالات، النجاح الجديدة، الطبعة الرابعة، الدار البيضاء، السنة 1988، ص 10.

4 عبد الفتاح الزين، " التواصل و"قوانين الصمت، مقاربة لمشاكل البحث العلمي بالمغرب، نموذج البحث العلمي في السوسيولوجيا "، الجزء الأول، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، العدد: 42، السنة 1994-1995م، ص 335-338.

5 دوطي إدمون، مرجع سابق، ص 81.

يبحث الإنسان عن سبل تقوية هذه القوة السحرية بنطقه بالكلمة وترادها، وابتكار الجناسات اللفظية، والسجوع، والقوافي والروي المتشابهة. ومن ثم تأتي في العزائم والأذكار تلك السلاسل اللامتناهية من الأسماء المتشابهة فيما بينها، والتي لا تختلف إلا بحرف، ولها القافية نفسها[1]، ولعل الشعر تطور انطلاقا من السجع، قد ساهم في الأصل في الطابع السحري لهذا الأخير. إنه يذكر بهذا الصدد بال carmen لدى اللاتينيين والذي منه اشتق اسم charme الذي يعني السحر[2].

ويعد السحر المكتوب أكثر ضروب السحر الرسمي أهمية. وتنبع أهميته البالغة من حيث هو- في نظر العامة - "سحر عالم" بمعنى أنه يقوم على علوم مضبوطة القواعد تدرس عكس ما هو عليه الأمر بالنسبة إلى السحر الشعبي الذي تنتقل وصفاته بين عامة الناس عن طريق المشافهة. وإذا كانت فعالية السحر الشعبي نسبية اعتبارا لكونه يتداول بشكل مفتوح بين العامة، فإن سحر الأحرف والأرقام، يعد " مؤكد الفعالية " من وجهة نظر العامة بسبب توفره على شرطي الغموض والسرية الضروريين لإتمام العملية السحرية ونجاحها[3].

إن للكلام الموزون قيمة سحرية كامنة في إبداعاته التي تناسب طبيعة الطقوس السحرية وإن الشعوب العربية القديمة كانت تمنح للكلام الموزون قدرات تأثيرية تتجاوز التأثير على الكائن البشري، وإن كان السجع والقافية والإيقاع تقوي الطابع السحري للكلمة فإن الإنشاد يؤثر في قوته تلك أيضا. كونه شكل لدى العرب ومند العصور السحيقة، قوة عجيبة ناجمة عن الجن. فالقوة السحرية للنغم هي معتقد كوني حسب إدموند دوتي، وحتى أصبح الشاعر ينعت على أنه ساحر، والشعر بأنه سحر. ومن هنا نستنتج، أن الطقوس الشفوية تعتمد بالأساس على القوة السحرية للكلمات أكثر من اعتمادها على العناصر الأخرى (البخور، والأحجار الكريمة والنباتات والحيوانات وطلوع أو غروب الشمس) والتي تعتبر عناصر سحرية مساعدة أو مكملة.

1 المرجع نفسه، ص 81-82

2 المرجع نفسه، ص 82.

3 مصطفى وأعراب. مرجع سابق، ص 38.

2-السحر الرسمي: (السحر بالكتابة بين الحروف والجداول والأرقام):

شكلت علوم السحر والطلسمات العلم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر، أما بغير معين او بمعين من الأمور السماوية. والأول هو السحر والثاني هو الطلسمات، ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة الي غير الله من كوكب او غيره كانت كتبها كالمفقودة بين الناس ألا ما وجد في كتب الأمم الاقدمين فيها قبل نبوة موسى عليه السلام، مثل النبط والكلدانيين فإن جميع من تقدمه من الأنبياء لم يشرعوا الشرائع ولا جاءوا بالأحكام، انما كانت كتبهم مواعظ وتوحيد الله وتذكيرا بالجنة والنار، وكانت هذه العلوم في اهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفي أهل مصر من القبط وغيرهم[1]. وكان لهم فيها التواليف والأثار ولم يترجم لنا من كتبهم إلا القليل مثل الفلاحة النبطية لابن وحشية من اوضاع اهل بابل، فأخذ الناس هذا العلم منها وتفننوا فيه ووضعت بعد ذلك الأوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرهم، ثم ظهر بالمشرق جابر ابن حيان كبير السحرة في هذه الملة فتصفح كتب القوم واستخرج الصناعة وغاص على زبدتها فاستخرجها ووضع فيها عدة من التواليف واكثر الكلام فيها وفي صناعة الكيميا لأنها من توابعها، لان إحالة الاجسام النوعية من صورة إلى أخرى انما تكون بالقوى النفسانية لا بالصناعة العلمية فهو من قبيل السحر كما نذكره في موضعه ثم جاء مسلمة بن أحمد المجريطي امام اهل الأندلس في التعاليم والسحريات فلخص جميع تلك الكتب وهذبها وجمع طرقها في كتابة الذي سماه غاية الحكيم ولم يكتب أحد في هذا العلم بعده[2] .

وأما بالنسبة لعلم الالهيات فهو علم ينظر بزعمهم في الوجود المطلق، فأولا في الأمور العامة للجسمانيات والروحانيات من الماهيات والوحدة والكثرة والوجوب والامكان وغير ذلك،

1 عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ، تحقيق المستشرق الفرنسي أ.م. كاترمير، عن طبعة باريسية سنة 1858، المجلد الثالث، مكتبة لبنان، ساحة رياض العلم، بيروت، 1992، ص 124.

2 المرجع نفسه، ص 125.

ثم ينظر في مبادئ الموجودات وانها روحانيات ثم في كيفية صدور الموجودات عنها وترتيبها ثم في نوال النفس بعد مفارقة الأجسام وعودها إلى المبداع وهو عندهم علم شريف يزعمون انه يفقهم على معرفة الوجود على ما هو عليه وان ذلك عين السعادة بزعمهم وسيأتي الرد عليهم بعد وهو تال للطبيعيات في ترتيبهم ولذلك يسمونه علم ما بعد الطبيعة وكتب المعلم الأول فيه موجودة بين ايدي الناس ولخصها ابن سينا في كتاب الشفاء والنجاء وكذلك لخصها ابن رشد من حكماء الأندلس، ولما وضع المتأخرون في علوم القوم ودونوا فيه ورد عليهم الغزالي، ما رده منها، ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة لاشتراكهما في المباحث وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الالهيات مسائله بمسائلها فصارت كأنها فن واحد وغيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والالهيات وخلطوهما فنا واحدا قدموا فيه الكلام في الأمور العامة ثم اتبعوه بالجسمانيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها الى آخر العلم كما فعله الامام ابن الخطيب في المباحث المشرقية وجميع من بعده من علماء الكلام وصار علم الكلام مختلطا بمسائل الحكمة[1].

فالساحر عندما يستمد قوة ظلمانية ويحس بها تسري في جسمه، يمكنه أن يضعها في طلاسم ويسجنها فيها لهدف معين. ويمكنه أن يركزها في نص مكتوب أو حروف أو خطوط أو رموز أو رسوم أو " خربشات" أو أشياء مادية (كالصخور والحلي والنقود والملابس الخ). أما المتدين فعندما يتم له الاتصال بقوى النور بشكل شعوري مدرك، فإنه قد يكسو بها فضاء وأثاث المنزل، وقد يحطم بها الفعالية الكامنة في الطلاسم والجداول والأوفاق السحرية، وقد يحطم بها القوى السلبية المنبعثة من أشكال هندسية ومواد وتيارات مغناطيسية موجودة في محيطه المنزلي، وقد يصرع بها مريضا به مس من الجن أو يستخرج بها علما من الباطن. ومن أهم وسائل التطبيق أو وسائل الاستمداد الذي يعني في العلوم الباطنية: جاب القوة وامتصاصها كالحروف والرموز والاشكال الهندسية والأرقام، فهناك أشكل هندسية ورموز جالبة للنور بصفة تلقائية وأخرى جالبة للظلمات. وهناك أشكال هندسية مشتركة بين الخطين تتوقف نوعية تأثيرها على نوعية الاعتقاد والهدف المتوخى، والنية التي يضمرها الإنسان حين يستخدم ذلك الشكل. أما الأرقام فتستخدم في الاتجاهين اتجاه النور أو اتجاه الظلمات، مع العلم أن

1 المرجع نفسه، ص ص 121-122.

بعض الأرقام لها خصوصية معينة إما في الدين وإما في السحر[1]. والأرقام التي استهوت المولوعين بالحساب من القدم، فإن لبعضها خاصيات سحرية، تبعث على الدهشة، وتدخل في " الحسابات " الضرورية لإعداد بعض الوصفات العلاجية والوقائية[2]. ومن بعض الوسائل السحرية المستخدمة في السحر الرسمي:

أ.سحر الأرقام[3]:

إن بعض الأرقام تحظى لدى المغاربة بمكانة سحرية لا تقبل الجدال ومنها على الخصوص الرقمان 5 و7. وبالنسبة للرقم 5 سنرى أصل قيمته السحرية حين الحديث عن العين الشريرة. أما الرقم 7 فيبدو – بحسب أبحاث الطبيب موشون – أنه يستمد قوته الغامضة من كونه يشير إلى عدد قبائل الجن (عددها سبعة حسب بعض الاساطير المحلية). ولأن الجن هم أصل المعتقدات السحرية كلها لدى المغاربة، فإن العدد سبعة يحظى لديهم بقيمة سحرية فريدة، من دون غيره من الأعداد، ويتكرر في العديد من الوصفات السحرية. وقد يكون العدد في حد ذاته حرزا، في بعض الحالات كما هو الحال العدد خمسة. فيكفي مثلا رسم العدد باليد أو النطق به. لإبطال أدى العين الشريرة. وأهمية العدد وقوته السحرية تنبع من ضرورته البالغة في عملية " فك الخط"، التي تعني تشخيص حالة المسحور(ة) بعد تفكيك اسمه الشخصي واسمي والديه إلى أرقام.

1 المحجوب مزاوي، الروحانيات الجديدة: تحليل باطني للصراع بين الدين والسحر، الجزء الأول، التعريف بالروحانيات والعلوم الباطنية، السحب: publiroc، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، 2012، ص 230.

2 مصطفى وأعراب، مرجع سابق، ص 39.

3 المرجع نفسه، ص 39.

ب. سحر (الحرف)[1]:

ويعتبر السحرة أن لبعض الحروف الأبجدية العربية قيمة سحرية كبرى، تجعلها أساسية لأعمال السحر المكتوب. وقد قسم واضعو مصنفات السحر الرسمي، واشهرهم البوني، قواعد معقدة جدا، لن ندخل كثيرا في تفاصيلها الجانبية. ويختصر البوني تلك الصعوبة البالغة في فهم " سر الحروف " وما يمنحها من قيمة سحرية كبرى، من خلال الأبيات الشعرية:

(...)ففي الحروف علوم ليست أبديها ** حتى أجد طالبا يدري معانيها

حروفه برزت من غير واسطة ** وكان السر منها في معانيها

والله والله ايمانها مؤكدة ** لا يلحق الخوف يوما قط قاريها

وهكذا تنقسم الأبجدية العربية إلى مجموعة من الأبجديات السحرية الحقيقية، حيث تقسم الحروف العربية إلى مجموعات، لكل مجموعة منها خاصيتها، بحسب التأويل الذي يعطى لها، فهناك الحرف المعجمة، والحروف غير المنقطة (التي لا تحمل نقطا: كالميم والهاء، إلخ)، ثم هناك مجموعة الحروف السبعة (لنلاحظ القيمة السحرية للعدد سبعة)، "سواقط الفاتحة"، ويقصد بها الحروف التي لم تتضمنها كلمات فاتحة القرآن. وقدم جدول دعوة الشمس الشهير العلاقات المتشابكة القائمة في دنيا لسحرة بين تلك الحروف و"الخدام العلويين «(ملائكة) و" السفليين " (ملوك الجان) واليوم الذي يحكم فيه كل واحد منهم والكواكب المؤثرة. الخ. وبذلك يكشف العلاقات الخفية المتداخلة بين لعناصر السحرية.

ج. الرموز السحرية[2]:

إن " الخواتم السبعة " ليست الرموز غير العربية الوحيدة في ترسانة السحر الرسمي في المغرب. فثمة أبجدية أخرى، هي في الغالب عن رموز غريبة المصدر والمعنى، بيد ان استعمالها

1 المرجع نفسه، ص 40-41.

2 المرجع نفسه، ص 43.

شائع في وصفات السحر المكتوب. وهناك بعض الجداول الأبجدية السحرية المعروفة باسم " الحروف ذات العيون " أو ذات النظارات " التي تدخل في إعداد " الجداول" وهي رموز يزعم السحرة أنها تمثل الحروف الأولى لأسماء بعض الأرواح المؤثرة في دنيا السحر، والتي يتوسل إليها من اجل التدخل لتحقيق غرض من الأغراض (علاج مرض من الأمراض المستعصية، زوال " العكس" لتحقيق زواج أو نجاح في الأعمال، الخ). ووسيلة التوسل تلك، هي استعمال الرمز الذي يمثل الروحانية المتوسل اليها في " الجدول " او " الحرز " السحري. وهناك أبجديات سحرية أخرى ك " السبع خواتم " والتي تتضمن " خاتم سليمان " وهي على الأرجح من تأثيرات السحر اليهودي. إذ من المعروف بالمغرب أن سحر اليهود (المغاربة) متفوق على غيره. وهناك أبجدية أخرى أوردها الدكتور مصطفى أخميس، وهو طبيب جراح وباحث أنثروبولوجي مغربي، استقاها من أوساط السحرة في منطقة سوس بجنوب المغرب أثناء عمله هناك، وهي رموز تخص أربعة من ملوك الجان السبعة، بواقع ثلاثة رموز مميزة لكل واحد منهم.

ح. الوفق[1]:

ويسمى أيضا في لغة أهل " الحرف " الجدول أو المربع، ويسمى أيضا الخاتم، وهو جدول هندسي، يتكون من عدد معين من الخانات أفقيا ومثلها عموديا. وتتوافق أعدادها وأحرفها وتستوي في الأقطار والزوايا وعدم التكرار لتنتج مفعولا سحريا. وتختلف أسماء الأوفاق بحسب عدد أضلاعها، ففي الحال التي يكون عددها ثلاثا يسمى الوفق مثلثا وفي حال الأربعة مربعا، وهكذا الى المعشر الذي هو الجدول المشكل من عشر خانات عمودية وعشر أفقية. وبحسب" البوني، فإن لكل صنف من الأوفاق أغراضا يتوسل به إلى قضائها، وهكذا، فإن:

المثلث: لأعمال الخير، وتيسير الأعمال العسرة كإطلاق المسجون، وتسهيل الولادة، ودفع الخصومة والظفر بالعدو، والأمن من الغرق، وابتداء الأعمال وذهاب ريح القولنج.

المربع: لأعمال الغير كالمحبة والجذب ومنع التعب، والنصرة على الحرب والجاه والقبول ولقاء الأمراء وكسب مودة النساء.

1 المرجع نفسه، ص 46.

المخمس: لتسليط المرض والفرقة والعداوة والخراب والرجم ومحبة النساء.

المسدس: لأعمال الخير كالرفعة والجاه والعمارة والنصر وزيادة المال.

المسبع: للظفر بالعدو، وتسهيل العلوم ومنع السحر، وإذهاب البلادة.

المثمن: لأعمال الخير والشر والجاه وجلب الأمطار والبرء من المرض وذهاب الجنون وتسهيل العلوم وابتداء الأعمال والإخفاء عن أعين الناس.

المتسع: لأعمال الخير كالجاه والقبول ودفع الخصومة والأمن من المكائد، وللمحبة، والنصرة في الحرب، ومنع البرودة من الأعصاب، وإذهاب البلغم.

المعشر: للعظمة والشرف، ومنع الحديد ودفع السموم وذهاب الوباء وتسهيل الأمور الشاقة، وقضاء الحوائج من الأمراء والسلاطين والنصرة في الحرب وغير ذلك.

وبعد أن تأخذ الأرقام السحرية مكان الأحرف الأصلية كالعدد 1 مكان الحرف الحاء، و2 مكان الألف، و3 مكان الواو، وهكذا إلى أن يصبح مثلث[1]، ويستحسن السحرة كتابة الوفق عندما تكون الأبراج مناسبة للغرض المطلوب بحسب الجان والملائكة الدين يتوسل إليهم تحقيقه، إذ لكل خادم سفلي(جني) خادم علوي (ملاك)-بحسب زعمهم-يساعده في تحقيق المطلوب لكن شريطة اختيار اليوم مناسب الذي تكون فيه القيادة ل» الخادمين". وكما تضع مصنفات السحر لكل شكل من أشكال الأوفاق كوكب من الكواكب السيارة السبعة، ويستمد منه قوته السحرية[2]. والشمس لها الوفق المسدس، والقمر له المتسع، والمريخ له الوفق المخمس، وعطارد له الوفق المربع، أما المشتري فله الوفق المثمن، بينما الزهرة له المسبع، ثم أخيرا كوكب زحل له الوفق المثلث، ويمكن أن يكتب الوفق فوق قطعة ورق أو قطعة جلد أو عظمة حيوان

1 المرجع نفسه، 47-48.

2 المرجع نفسه، ص 49.

أو حجر، وتتدخل الكثير من العوامل الأخرى الأساسية أو المكملة لإكساب الوفق فعاليته المرجوة بعد التوافق في استحضار الروحانية المتوصل بهم ولتحقيق المطلوب منهم[1].

ونذكر من تلك العناصر البخور المناسب، وتلاوة العزائم المرفقة (التراتيل السحرية)، وبعد تعرضنا لنوعين من السحر في المغرب، وهما السحر الرسمي، والسحر الشعبي، نذكر أيضا من أنواع السحر في المغرب السحر الأبيض، والسحر الأسود. فالسحر الأبيض هو ما كان للمنفعة أو من أجل الخير، وتوجد وصفات سحرية لهذا النوع لتحقيق هذه أغراض منها إزالة الهم والغم لمنع الوقوع في المعاصي وشرب الخمر، أو لتحقيق السعادة الأبدية، وللوقاية من العين، ولحفظ الأشياء التي يخاف عليها من الغير، ولجلب الخطاب، والإصلاح الفاسد من الناس والأشياء، لجلب الزبون، ولنجاح التجارة ولإزالة الكسل والعياء، ولإظهار شيء ضائع أو مسروق، ولجلب الرجل للمرأة، ولجلب المرأة للرجل، ولجلب الغائب، وأشفاء العاقر ولتسهيل الولادة ولتيسير الأرزاق ولسداد الديون ولزوال النسيان، ولخلاص المسجون، ولنيل القبول والسعادة، ولنيل المناصب والترقي.

أما السحر الأسود، فيستخدم لأغراض الشر والانتقام من عدو، ومن استخداماته تسليط مرض على ظالم، أو إشعال النار في دار ظالم، أو ربط الرجل جنسيا، أو عقد لسان الزوج، أو عقد المرأة كي لا يطأها (يجامعها غيره)، أو تعطيل فتاة عن الزواج، أو إلحاق الأمراض المختلفة بالعدو، أو إلحاق العقم بالرجل أو بامرأة، أو لعسر الولادة، أو لترقيد الجنين في رحم المرأة لسنوات، أو إحضار أزواج الموتى أو التصرف بطوائف الجن وملوكها، أو إسقاط الشعر، أو تسليط الأرق الدائم والمرض والجنون على العدو.

ثانيا: شروط الممارسة والوسائل السحرية المستخدمة في العملية السحرية

تقتضي فعالية السحر الرسمي وجود بعض المحددات وشروط معينة لإنجاحه، وكذا بعض الوسائل والإجراءات السحرية المستخدمة في هذا النوع من السحر، والتي يمكن توضيحها في الآتي:

1 المرجع نفسه، 50.

1-شروط الممارسة السحرية:

وتتهيكل العملية السحرية حسب "ليفي ستراوس" حول اعتقاد ثلاثي: الأول الاعتقاد في سند إيديولوجي للمجموعة التي ينتمي إليها الفاعل. والثاني اعتقاد الفاعل في نجاعة الطقس الممارس، والثالث اعتقاد الساحر في نجاح تقنياته السحرية. أما بخصوص السند الإيديولوجي، فقد يكون ضريح ولي، أو يكون الساحر نفسه، فالسحر لا يعتبر سحرا إلا بتوافر شرط الاعتقاد فيه من قبل الممارس، والاعتقاد في نجاح الطقوس التي يليها، أي حصول اعتقاد مشترك ومتبادل حين يعتقد في نجاح وصدق الممارسة السحرية كل من الساحر والزبون[1].

وهذا الاعتقاد الذي يسميه المغاربة " النية" أي الاعتقاد الصادق في أن حركة ما، أو كلمة ما، أو مادة معدنية، أو نباتية، أو حيوانية، إذا استعملت بطريقة ما، تنتج تأثيرا سحريا معينا، وهذا الاعتقاد الذي يسميه المغاربة "النية" وهي تلك الإرادة المضمرة أو المعبر عنها في كسب مصلحة أو تفادي شر. ويتم التعبير عنها من خلال ممارسة طقس سحري. من دون أن يطرح الساحر ولا زبونة السؤال المعقد والمحرج: كيف نفعل هذا ولماذا لكي يحصل كذا؟ فالنية بهذا المعنى تعتبر شرطا أساسيا لنجاح الممارسة السحرية في تحقيق الهدف، إن الساحر ليس بالضرورة محتالا يمارس ضحكه على ذقون زبائنه المغفلين، إذ تفيد دراسات لبعض مؤسسي علم أنثروبولوجيا المعتقدات بأنه حتى عندما لا يكون الساحر معتقدا في سحره. فإنه يضنه ممكنا: حيث يمتزج غاليا قليل من التظاهر (بالاعتقاد)مع الصدق، كما يحدث دائما في الظواهر المرتبطة بالتنويم المغناطيسي[2].

وبالإضافة إلى شرط توفر النية، هناك شرط السرية. فإذا كانت المعتقدات السحرية جماعية، فإن ممارستها تتم بشكل فردي ما دام السحر في حقيقته شخصنة لرغبة فردية يبتغي الممارس حصولها من خلال الطقس السحري وممارسة في الخفاء هي شرط أساسي لصحته،

1 مصطفى وأعراب، مرجع سابق، ص 20.

2 المرجع نفسه، ص ص 20-21.

وحسب ملاحظات الباحثين (أوبير) و(موس)، فأنه " لكي يكون للسحر أثر يجب ممارسته في سرية"[1].

وهناك شرط أخر يتمثل في وجوب اختيار الزمان المناسب لكل عملية سحرية. وهو ما ذكر في كتاب البوني" الأصول والضوابط المحكمة: " واعلم ان الكواكب السيارة السبعة (وهي في مصنفات السحر: زحل، المشتري، المريخ، الشمس، الزهرة، عطارد والقمر) لكل واحد منها وفق منسوب إلية (...) وفق تأثير يظهر منه بحسب تأثير الكوكب. فالكواكب السيارة حسب السحرة، تؤثر في المخلوقات ويختلف نوع ودرجة التأثير كل كوكب وفق موقعه في الفضاء. ولذلك يترصد السحرة المحترفون حلول " منزلة " كوكب حسب جدول " المنازل " المعروف لديهم بدقة متناهية. من أجل القيام بالعمل السحري الذي يتوافق مع تأثير الكوكب. وبالإضافة إلى ضرورة اختيار الوقت المناسب يشترط في بعض الطقوس السحرية أن تتم في مكان معين: كالحمام البلدي، أو على شاطئ البحر، أو في المقبرة، أو غيرهما.[2]

ولا ننسى أن الإنسان لا يتصرف بيديه وقدميه فقط وحسب، بل يتصرف أيضا بفكره وانفعالاته ونواياه وكل ما يطرحه عقله خارج الذات (من صور ذهنية وأفكار ورغبات)، فتجلب محتويات العقل التي يطرحها أشخاصا وأحداثا وطروفا مناسبة تحمل نفس طول المودة، وكأنها مغناطيس. فليس من دون سبب أن يقول الله تعالى في القرآن: إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم «. (الرعد الآية 11) وأن يقول أيضا:" ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". (الانفال الآية 53)، وأن يقول في الحديث القدسي الذي رواه نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم: " أنا عند ظنّ عبدي بي"[3].

وبغض النظر عن دور قانون الجذب فإن التوتر النفسي الزائد عن الحد، ومشاعر الغضب والحقد التي يوجهها السائقون إلى بعضهم البعض أو إلى سيارات الأخرين، قد تتحول "

1 المرجع نفسه، ص 21.

2 المرجع ننفسه، ص 21

3 المحجوب مزاوي، مرجع سابق، ص 253

لا شعوريا ولا إراديا " إلى قوة مادية في إطار ما تسميه البارا سيكولوجيا:" المفعول السيكوكينيزي " L'effet psychokinésique فتؤثر عل شخص آخر أو سيارة أخرى فتحدث بها عطبا تقنيا . وهذا ليس مستحيلا من الناحية العلمية (ولا من الناحية الدينية أيضا). وليس من دون سبب أن تهتم الصحفية والباحثة الإنجليزية " لين ماكتاغارت" Lynne MC Taggartt في كتابها: " الحقل" the Field" و" تجربة النية" the intention experiment " بقدرة العقل والنية على التأثير في المحيط (ولو عن بعد)، وأن تدعم الأبحاث التي أجرتها في هذا الصدد بمعطيات الفيزياء الكوانطية والعلوم الجديدة[1]. وأهم العناصر التي تدخل في العملية السحرية من مواد وعناصر مادية التي تدخل في إعداد الوصفات السحرية والتي يمكن تمييزها حسب أصولها كما يلي[2]:

مواد حيوانية: حشرات، جلود، قرون، وأطراف بعض الحيوانات، وكذا دماؤها إلخ.

مواد معدنية: بخور، صفائح فضة، رصاص، حديد، نحاس إلخ.

مواد نباتية: بخور، جذور، ولحاف بعض الأشجار، أزهار بعض النباتات إلخ.

مستحضرات خاصة: ماء غسل الميت، دم الإنسان (الحيض)، دم المغدور، الثوب المستعمل بعد الجماع، شعر وأظافر الشخص المراد سحره إلخ.

ومن أجل إنتاج عدد غير محدد من الوصفات والطقوس السحرية التي تصلح لتحقيق كل ما يخطر، ولا يخطر على البال من الأغراض، يتم التأليف بين هذه العناصر والشروط وفق قواعد معقدة وغامضة. وكما يعتبر احترام تراتبية الطقوس شرطا أساسيا إذ ينجم عن عدم احترام عناصر الطقس السحري أو الإخلال به، بطلان العمل السحري بأكمله أو حدوث تأثير عكسي.

1 المرجع نفسه، ص 234.

2 مصطفى وأعراب، المرجع سابق، ص 22.

2 – الخصائص السحرية للحيوانات:

وتزخر الأرض بعلامات على الرابطة الوثيقة بين الحياة الإنسانية والحيوانات والطيور، ولا يمكن تخيل الوجود البشري بدون حيوانات والطيور وباقي المخلوقات على هذا الكوكب. وطالما كان الإنسان يستخدم الحيوانات ويستفيد منها في شتى المجالات في المأكل والمشرب واللباس وحتى في الأبخرة من خلال سحق الحوافر والقرون لهذه الحيوانات. ومن أكثر الاستخدامات للحيوانات والطيور من قبل الإنسان هو" السحر" من دماءها ولحومها وجلودها وشتى أعضائها وحتى فضلاتها تستخدم في كافة أعمال السحر[1].

وتلعب الحيوانات أدوارا مهمه في الممارسة السحرية المنتشرة على أوسع نطاق في البلدان العربية، فدماؤها ولحومها تشكل سندا ضروريا لطقوس طرد الشر واستجلاب البركة حين يتم تقديمها كقرابين، كما تدخل العناصر الأخرى ذات الأصل الحيواني ضمن المواد اللازمة لإعداد العديد من الوصفات السحرية، فتستعمل جلودها وأمخاخها وعظامها وأطرافها ومخالبها، أو أعضاءها الداخلية، بل حتى فضلات بعض الحيوانات لا تعدم فائدة سحرية، حسب الكثير من مصنفات السحر الرسمي بالمغرب. وحسب المصادر الشفوية وبعض مصنفات التراث السحري المكتوب، فإن من اهم العناصر السحرية ذات الأصل الحيواني المعروف. هناك مثلا: شحم القنفد، عظام الحنش، وجلد السبع والحنش والثعلب والغزال والذئب، والقنفد والغزال، خصية الذئب وزبله، قشرة الأفعى ورأسها، عين الهدهد وريشه ودمه، دم الخفاش، دم الغراب، دم الثعلب، دم العصفور، الحرباء وبيضها، السحالي، البوم، مرارة الغراب، عش الخطاف ... الخ. هذه بالنسبة للحيوانات البرية، أما الحيوانات الأليفة فأهمها: بعر الماعز وأظلافه ومرارته، روث الحمار، بول الكبش وبول البغلة، وسخ أذن الحمار، دم الأرنب وكعبه وقلبه، بيض

1 بارا سعيد حجاج، " الحيوانات واستخداماتها في السحر والشعوذة "، موقع: معبد الغموض، الرابط: https://templeofmystery.com/index.php?page=show_article&id=28 تاريخ الزيارة: 2020/04/08 الساعة: 06 مساء.

الدجاجة، بيض الديك، وبيض النمل، ومخ الديك الأبيض والأسود، مخ الحصان، مخ الحمار ولسانه، مخالب الدجاج، السمك، حوافر الدواب، البق، الذباب، الفئران، وغيرها[1].

وتحظى الحيوانات المائية هي الأخرى بقدر غير يسير من الأهمية في المعتقدات السحرية، حيث يسود الاعتقاد في قدرة الجن على الحلول في بعض الأحياء المائية، كالعيون المالحة والتي تسبح فيها بعض سلاحف التي تلقى بعض التقديس من لدن بعض مسلمين واليهود المغاربة. كمغارة ايمنفري، (التي تعني بالبربرية فم الغار) والواقعة بضاحية مدينة دمنات الجبلية[2]. فالأسماك لم تنجو من هذه الأفعال الشيطانية، حيث أنه توجد أسماك مخصصة لأعمال السحر مثل " سمكة الخنكليس" حيث يتم إصطيادها من أجل الأعمال السحرية للمشعودين والسحره . وقبل أن تموت وتفارق الحياة يضعون داخل فمها العمل أو السحر لتبتلعه ومن ثم يتم قدفها في الماء مرة أخرى وتذهب بعيدا في الأعماق. ويستمر مفعولها هذا السحر طوال حياة هذه السمكة، أما عند موتها فيكون تأثيرا السحر أو العمل على حسب قوة ذلك السحر، فقد ينجو المسحور وقد يموت معها[3]. ويبقى الاعتقاد في وجود خصائص سحرية لدى الحيوانات قديم جدا في المغرب.

ويحتل الدجاج وبشكل اعم (ذو الريش الأبيض أو الأسود أو الأحمر) موقعا متفردا في صدارة الحيوانات لمستعملة في تحقيق الأغراض السحرية. فالديك الدي يعلن عن فرار شياطين الليل في الضحى. لا شك أن له خصائص ينفرد بها عن غيره من الطيور الداجنة والبرية الأخرى. أما الحرباء، ذلك الحيوان الزاحف المتقلب الشكل والمتكاسل، فتستعمل في وصفات إبطال مفعول السحر الأسود، بينما يستخدم بيضها في إعداد وصفات " التوكال " التي تعطي للغريم أو العدو في الأكل، بغرض القتل البطيء. وتقدم أيضا لكل فتاة تشتكي من" العنوسة " حيث ينصحها العشاب بالتبخر بالعرعار، و" تاتة عويتقة" أي حرباء بكر، ولأجل دلك تهيئ لفتاة النار في مجمر، فترمي في لهيبها المتقد الحرباء الحرباء المسكينة حية مع بعض العرعار وتعرض نفسها

1 مصطفى وأعراب، المرجع سابق، ص 63.

2 المرجع نفسه، ص 64.

3 بارا سعيد حجاج، المرجع سابق، تاريخ الزيارة: 2020/04/08 الساعة: 06 مساء.

للدخان المتصاعد الذي يعتقد أنه يبطل مفعول السحر المعمول لها. كما تستعمل كذلك لعلاج " التوكال " حيث يتناول المصاب به لحم الحرباء بعد أن يذبحها ويغسلها[1].

3. بعض الوسائل المستخدمة في العملية السحرية:

تغسال الميت:

سيبقى الموت هو لغز الألغاز الأبدي بالنسبة إلى بني البشر. لازمهم مند صدمة الوفاة الأولى، واستبد سحره المحير بهم إلى درجة أن كل المعتقدات السحرية ثم الدينية احاطته بهالة من الغموض والرهبة. إن لفكرة الموت في المعتقدات السحرية ثم الدينية احاطته بهالة من الغموض والرهبة. إن لفكرة لموت في المعتقدات الشعبية للمغاربة صورا وملامح غريبة لكن تترجم في المجمل رعب الناس من لحطة الوفاة وما يليها. وعلى الرغم من كون كلمة الموت مذكرة، فإن سلافنا شخصوه في صورة امرأة بدون كبد ولا رئتين. لا تشفق على العجوز كما لا ترحم الرضيع. وحين تكون تلك المرأة المرعبة قد اتمت مهمتها بإنهاء حياة البشر جميعا، سوف تساق إلى مكان يقع بين الجنة وجهنم كي تذبح فيه ويسيل دمها مثل الكبش. وهده واحدة فقط من الأفكار الغريبة عن تصور المغاربة القدامى للموت [2].

ومن هنا يتم استحضار طقس غسل الميت، بما فيه الأدوات أو المواد التي لامست جسد الميت خلال طقوس تطهيره وإعداده للدفن. والتي تشتمل على خليط من غريب من العناصر التي تدخل في إعداد واصفات السحر الأسود. ولدى باعة مستلزمات السحر المتخفين خلف واجهات دكاكين العطارة المعروفة بمدن وقرى المغرب يوجد كل ما يبحث عنه بأسعار مرتفعة تبررها خصائصها السحرية المزعومة، حيث صابون الدي استعمل لغسل الميت يباع بعشرات اضعاف سعر الصابون العادي، كذلك بالنسبة للمشطة وشعرات رأس الميت وماء غسله.. كل شيء متوفر

1 مصطفى وأعراب، المرجع سابق، ص ،67.

2 المرجع نفسه، ص 221.

في ضوء عنصر" النية " أي الثقة في المواد المتحصل عليها من عملية غسل الميت. فكل ما يخرج من أجساد الموتى ينتج الموت[1].

ب-طبق الكسكس بيد الميت:

تلعب الجثة دورا رئيسيا في السحر الأسود، فالميت الذي لا يستطيع الكلام ولا الرؤية ولا السمع. يمكن أن ينقل عجزه إلى غيره من الاحياء الأخرين، مثلا تستعمل أجزاء من الجثة (أظافر، شعر الميت) أو بعض المواد التي لمست الميت، لكي تغلق الزوجة عين زوجها عن سلوكها. وبدلك تصل إلى تلك الممارسة المطبخية الشهيرة في أوساط السحرة بالمغرب، "الكسكس" بيد الميت"، هده الوصفة المنتشرة في كل المجتمعات المغاربية، قد أصبحت لصيقة بالنساء اللواتي تدفع بهن طروفهن الاجتماعية غير المستقرة إلى اللجوء إلى تقديمها لأزواجهن قصد إخضاعهم لرغباتهن في السيطرة، والذي أصبح وسيلة لبحث المرأة عن إخضاع الزوج أو العشيق[2]. والحال أنه لم يكن في الماضي تخصص ينفرد به النساء، بل كان يمارس حتى في دوائر الحكم، فخلال الأزمنة المضطربة من تاريخ البلاد المغرب غير البعيدة عنا كثيرا، وعندما كانت القبائل تتمرد على السلطة الحاكمة" المخزن" لتلتحق ببلاد السيبة" (المتمردة على السلطة المركزية). كان "القائد" أو" الحاكم" كلما واجه خطر قبيلة علية، يلجأ إلى خدمات ساحرة لتعد له طبق ""كسكس" مفتول بيد ميت، ثم يدعو حوله زعماء القبائل ليتناولوا منه، ونجد في الأوراق التي خلفها الطبيب الفرنسي "موشون" المقتول في بداية القرن الماضي بمراكش. أن هذه الوجبة السحرية كانت مرتبطة بغرض "إخضاع قبيلة" أولا، ثم بالمرأة التي ترغب في إخضاع زوجها، أو كل شخص يريد إخضاع الآخر بعد ذلك، وسينطق كل من أكل منه أمام القايد بنفس الجملة:" أنا خضع لك". [3] وهكذا كان "كسكس الميت" في زمن مضى أسلوبا بدائيا من أساليب التهدئة السياسية (إخضاع القبائل والزعامات لسلطة المخزن)، ثم أصبح وسيلة لبحث المرأة عن إخضاع الزوج أو العشق.

1 المرجع نفسه، ص 213-214.

2 المرجع نفسه، ص 216.

3 المرجع نفسه، ص217.

ج. مخ الضبع ولسان الحمار:

تقاسم شعوب الشرق الأوسط والمغاربة اعتقادهم في القوة السحرية للضبع، وربما كان اقتيات هذا الحيوان الجبان على جيف غيره من الحيوانات والإنسان هو السبب فيما ألصق به من قدرات عجيبة على التأثير في البشر بمجرد لمسهم لأي جزء من جسمه لدرجة أنه يفقدهم عقولهم، ولذلك تخلط النساء الراغبات في الانتقام من أزواجهن أو الطامحات إلى ضمان خضوعهم التام، أجزاء من مخ الضبع وتلجأن إلى وضعه في الأكل. وكما تستخدم الأجزاء الأخرى من جسمه كالجلد، واللسان، وحتى البراز والبول في إعداد تمائم لحماية الخيل وإخراس نباح الكلاب، وحسب بعض المصادر الشفوية، فإن وضع قليل من مخ الضبع فوق رأس الرجل يؤدي به إلى الجنون.

وفي الأوراق التي تركها الطبيب الفرنسي إميل موشون (الذي شكل اغتياله في مراكش بداية القرن العشرين المبرر المعلن للتدخل الفرنسي لفرض الحماية على المغرب) وهناك وصفة سحرية غريبة تتمثل في وضع أجزاء من مخ الضبع، ولسان الحمار في الأكل، يجعل الزوج يرتعد أمام زوجته، فتصبح الزوجة سيدة البيت، كارتعاد الحمار في مواجهة الضبع. وإن مخ الضبع من أنذر المواد السحرية وأغلاها، إذ يصل سعر الغرام الواحد منه في الأسواق السرية إلى مليون درهم حسب روايات بعض المغاربة. بحيث أصبح هذا الحيوان الجبان الذي يطهر الطبيعة من جيف الحيوانات والبشر. موضوعا على قائمة الحيوانات المهدد حاليا، بالانقراض من المغرب[1].

د. سحر عاشوراء:

تتميز مناسبة عاشوراء في الفلكلور المغربي باحتفالاتها الكرنفالية التي تجسد رمزية الثنائية القائمة على الموت (النار) والانبعاث (الماء) وقد رأى بعض كبار الباحثين الانثروبولوجيين الغربيين كالفنلندي إدوارد ويستر مارك في هذه الاحتفالات مجرد طقوس تمارس من أجل التطهر من أدران السحر وطرد الشر والحصول على البركة. وإن عاشوراء هي واحدة من أبرز وأهم المناسبات في يوميات المتعاطين للسحر بالمغرب، إذ لها في اعتقادهم (منزلة) توافق أعمال السحر، وبالأخص منها تلك التي تستهدف جلب المودة والوئام بين الأزواج والعاشقين. ولتزال

1 المرجع نفسه، ص 68

منتشرة على نحو واسع عادة زيارة المقابر ورش لقبور بالماء وماء الزهر خلال مناسبة عاشوراء، ومع التصدق بالتين المجفف وقطع الخبز على المتسولين الدين يحجون بكثرة إلى المقابر من ساعات الصباح الباكر.

وسحر عاشوراء من أشهر الممارسات التي لا تزال رائجة حتى للحظة الراهنة، تلك التي يقوم بها الزوجات الراغبات في كبح تسلط أزواجهن، كوصفة حرق " شرويطة " أو " مصران الحولي " (يعني الكبش) ووصفة " الكسكس" بذيالة الحولي. وتؤكد ربات البيوت المتخصصات في إعداد هذا النوع من السحر بأن الوجبة تجعل الرجل الذي يتناولها طيعا كالحرير في يد زوجته، بمعنى ان الأثر السحري المترتب عن العملية يجعل الزوج مطاوعا لزوجته ومستجيبا لرغباتها. ويدوم مفعولها عاما كاملا إلى عاشوراء الموالية. وكذلك، توجد ممارسات أخرى، تتمثل في حرق بعض المواد والأبخرة السحرية، حيث توجد أسواق رائجة للسحر في عيد عاشوراء الذي يسمى بعيد السحر، نجد فيها الشوافات بكثرة، إلى جانب بائعي المواد السحرية (البخور، الصابون، الشموع، البيض... إلخ) في تلك الأسواق[1].

ونافلة القول، يعتبر الإسلام ديانة توحيدية، وهو في ذلك يشترك مع اليهودية والمسيحية في شجب السحر وتحريمه. بيد ان الوضع الاعتباري الذي أخده الخفي في مجتمعات هذه الديانات أخد أشكالا مختلفة، مثلا في ففي المجال اليهودي تمكن السحر من التسلل إلى النص الديني وأعطى لنفسه شرعية ما، وفي السياق المسيحي عرف التحريم ترجمته التراجيديا في إطار عملية مطاردة الساحرات التي عرفتها أوروبا ابان قرون، بتزكية من الكنيسة لحفظ الكاثوليك من البدع. وعكس الإسلام الدي لم يعرف شيئا من هذا أو ذاك. على الرغم ما يحوم حول هذه الممارسة من شبهات وتحريم، إنها لازالت تمارس إلى اليوم. وهو ما يعكس حجم تناقض بين الخطاب الممارسة؟ بين الوضع الاعتباري الديني والوضع الاجتماعي السيكولوجي؟ ولهذا شكل السحر واحدا من القضايا التي استحوذت علي تفكير الإنسان مند القدم، وهو واحدا من المجالات الواسعة والخصبة التي يمكن تناولها من زوايا متعددة، وذلك أنه وعلي الرغم من التقدم العلمي الذي أحرزه الإنسان في مجالات الحياة، فانه لم يتخلص من المعتقدات والممارسات العلاجية الروحية ذات الصلة بالسحر والتي لم يتمكن التقدم العلمي والتقني الذي

1 المرجع نفسه، ص 132.

حققه الإنسان من تجاوزها، فالاعتماد علي السحر مازال قائما بكل ألوانه وصوره ومازال له حضوره الواسع في تفكير ومعتقدات الإنسان حتى اليوم، باعتباره وسيلة عملية لها قدرها في تحقيق نجاح أي عمل يعجز عن تحقيقه ذلك الإنسان بالوسائل العملية المنطقية .

وشكل المعتقد أو الطقس السحري، كما يعاش ويمارس من طرف العامة، قضية أساسية في أوساط الساحة العلمية وأحدث ضجة بين الخبراء والمفكرين والمختصين في مجال الطب وعلم النفس وعلم الاجتماع، حيث أخذتهم الدهشة حول الكثير من الممارسات والطقوس العلاجية المستخدمة من قبل هؤلاء المعالجين والتي تستهدف إحداث تأثيرات خارقة للمألوف من القابليات كعلاج بعض الأمراض المستعصية علي الطب الحديث بدون عقاقير أو أي من وسائل العلاج الحديثة، وهذا ما زاد دهشة الأطباء والمختصين في علم الاجتماع وعلم النفس والطب النفسي، إذ أن من الحقائق التي لا شك فيها كون هده الطقوس والممارسات العلاجية الروحية غير المألوفة ذات أثر كبير في صياغة معتقدات الناس وصياغة سلوكاتهم وطقوس حياتهم اليومية.

وأمام هذا الواقع طهرت إشكالية الأسباب الغيبية في المستشفيات والعيادات النفسية والمصحات العقلية نتج على إثرها فوضي زعزعت مصداقية العلاج الحديث، وسحبت الثقة المتبادلة بين الأطباء والمرضي. حيث أصبح المرضي ينظرون إلى الوسائل العلاجية الحديثة على أنها تتسم باللادقة في وصف الأمراض وتشخيصها ومن تم طرق علاجها لاسيما بعد عجز الطب الحديث عن علاج الكثير من الأمراض التي باتت تقلق نسبة كبيرة من الناس في العالم، في حين قد نجحت تلك الممارسات العلاجية غير المألوفة في علاج البعض منها.

قائمة المراجع:

1. حسين الواد. مناهج الدراسات الأدبية، منشورات عيون المقالات، النجاح الجديدة، الطبعة الرابعة، الدار البيضاء، السنة 1988.
2. دوطي إدمون. السحر والدين في إفريقيا الشمالية، ترجمة: فريد الزاهي، منشورات مرسم marsam، الرباط المغرب.
3. عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ، تحقيق المستشرق الفرنسي أ.م. كاترمير، عن طبعة باريسية سنة 1858، المجلد الثالث، مكتبة لبنان، ساحة رياض العلم، بيروت، 1992.

4. عبد الغني منديب، الدين والمجتمع: دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، الطبعة الثانية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010.
5. عبد الفتاح الزين، " التواصل و"قوانين الصمت، مقاربة لمشاكل البحث العلمي بالمغرب، نموذج البحث العلمي في السوسيولوجيا "، الجزء الأول، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، العدد: 42، السنة 1994-1995م.
6. عبد الفتاح الطوخي. سحر هاروت وماروت في الألعاب السحرية، مطبعة بيروت، لبنان، الطبعة الثانية للجزء الثاني، بدون سنة.
7. المحجوب مزاوي، الروحانيات الجديدة: تحليل باطني للصراع بين الدين والسحر
8. ، الجزء الأول، التعريف بالروحانيات والعلوم الباطنية، السحب: publiroc، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، 2012.
9. محمد أسليم. الإسلام والسحر، منشورات الزمن – كتاب الجيب 16-مطبعة الدار البيضاء، يوليوز 2000.
10. محمد بن يعيش. قضايا معاصرة محرجة !!! من منظور عربي إسلامي، الطبعة الأولى، مطبعة الجسور وجدة، 2015.
11. محمد سبيلا، " مفهوم الإنسان عند فرويد"، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس بالرباط، العدد: 24، السنة يناير/ أبريل 1975.
12. مصطفى وأعراب المعتقدات والطقوس السحرية في المغرب، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، يناير 2007.
13. بارا سعيد حجاج، " الحيوانات واستخداماتها في السحر والشعوذة "، موقع: معبد الغموض، الرابط على الخط:

https://templeofmystery.com/index.php?page=show_article&id=28

تاريخ الزيارة: 2020/04/08 الساعة: 06 مساء.